المحاضرة الرابعة: التّوليد الاصطلاحي

تمهيد:

المصطلح العلمي أداة للمعرفة، ونموه وتطوره مرتبط أشد الارتباط بنموها وتطورها، فالبحث في المصطلحات ونقل مفاهيمها من لغة لأخرى هو الأساس الذي يقوم عليه الاصطلاح الذي يعني "اتّفاق قوم على تسمية الشّيء باسمٍ ما يُنقل عن موضعه الأوّل" أي اتّخاذ رمز أو لفظ لغوي للتّعبير عن مفهوم خاص، ومن أهم الآليات اللّغوية التي اعتمدها علم المصطلح في وضع المصطلحات وتطويرها التّوليد، فما هو مفهوم التّوليد؟ ، ما هي أهم آليّات التّوليد الاصطلاحي؟ وما هي المصاعب التي تواجه عملية توليد المصطلح؟

مفهوم التّوليد لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: التّوليد من "وَلَّدَ الرّجل غَنَمَهُ تَوْلِيدًا كما يُقَالُ: نَتَجَ إِبِلَهُ. وفي حديث لقيط: ما وَلَّدْتَ يَا رَاعِي؟ يُقالُ: وَلَّدْتُ الشَّاةَ تَوْلِيدًا إِذَا حَضَرتَ وِلَادَتُهَا فَعَالَجْتُهَا حِينَ يَبِينُ الوَلَدُ مِنْهَا (...) و إن سُمِّيَ المُوَلَّدُ مِنَ الكَلَامِ مُوَلَّدًا إِذَا اِسْتَحْدَثُوهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِهِم".

مفهوم التّوليد الاصطلاحي: يُعرَّف التّوليد الاصطلاحي على أنّهُ "عمليّة استخراج اللّفظ الجديد، أو عملية استعمال اللّفظ القديم في معنى الجديد، سواء أكان اللّفظ عربيّ الأصل أم كان مُعرَّبا، وعلى ذلك يمكن اعتبار التّوليد بمثابة الإبداع الذي ينشىء تأليفا في اللفظ أو في المعنى".

يقول **عبد السلام المسد** ي: مِنْ أهمّ الآليّات التي تُفْرزها اللّغة لسدِّ حاجات مُستعمِليها عندما يواجهون المفاهيم المستحدثة آلية التّوليد التي يُصَنِّفُها علماء اللّسان إلى توليد لفظي وتوليد معنوي، وفي كلتا الحالتين تنبثِق دلالة تشقُّ طريقها بين الحقول المترسّخة في مصفوفة الخانات المخزونة لدى أهل تلك اللّغة حتى تَجِدَ مُستقرها بين زوايا المنظومة القاموسية".

لقد عَرَّف بعض الباحثين المُوَلَّدَ على أنَّهُ: "لفظٌ عربيٌّ البِناء أُعطِيَ في اللّغة الحديثة معنىً مختلفًا عمَّا كان العرب يعرفونه مثل: الجريدة والمجلّة والسّيارة والطّيارة".

للإشارة فإنَّ هؤلاء الباحثين قد فضَّل بعضهم الدّخيل على المُولّد، وذلك خوفا من "أنْ يلتبس بالمعنى القديم، الذي مازال مُتداولا مثل الهاتف، مع ذلك فما نزال نفضل كلمة تلفون الدّخيلة على الهاتف لأنّ الهاتف ما زال صالحا للاستعمال".

ينبغي التّنبيه ها هنا أنَّ الباحثين قد اختلفت سبلهم وتباينت طرائقهم وأساليبهم في التّعامل مع المصطلح، فبعضهم "يُترجم معنى المصطلح في ضوء المعاجم اللّغوية العربيّة، ويميل البعض الآخر إلى التّوليد، ويبقي آخرون الكلمة كما يُنْطق بها، ولا يقبلون بها بديلا، حتى أصبح لبعض المصطلحات الأجنبية عدد من المصطلحات المُعرّبة تختلف باختلاف الأقطار العربية، بل أحيانا باختلاف المُعرِّبين في القطر الواحد".

إنَّه مهما يكن الاختلاف في اختيار آليات التّوليد فإنَّ الذي يدعو إلى "وضع المصطلحات باللّغة العربية وتوليدها من لغات أجنبية هو البحث العلمي، وحل أزمة المصطلحات بالتَّعرُّف إلى قابلية اللّغة العربية

على توليد الألفاظ الجديدة ولا سيّما الاشتقاق، أمّا التَّخبُّط والفوضى في وضع المصطلحات في اللّغة العربية أو تركها فتعبيرٌ عن تهاون المختصّين في الوصول إلى فهمٍ عربيّ صحيحٍ للمفهوم الدّقيق للمصطلح الوافد، ولا علاقة للّغة العربية من حيث هي لغة بهذا العجز...".

على الرّغم من أهميّة عنصر التّوليد في الدّرس الاصطلاحي إلا أنَّ التّفكير فيه جاء متأخرا كثيرا، فقد اتّجهت العناية إليه عندما نبَّهت بعض مجامع اللّغة إلى أهميته، حيث حدّد الإطار الزّمني للمُولَّد على أنَّه: "ما استعمل في اللّغة العربية بعد عصور الاحتجاج من كلمات عربية الأصل جارية على أقيسة العرب أو مخرجة عليها، أُشرِبَتْ دلالات خاصة بطريق المجاز أو الاشتقاق أو التّوسُّع أو نحو ذلك".

آليات التّوليد الاصطلاحي:

للتّوليد آليات كثيرة وأساليب متنوّعة؛ بعضها ذاتيّ عربيّ، وبعضها الآخر مُسْتَعَارٌ وافدٌ من ثقافة أخرى، والذي يعنينا أكثر هو الأساليب الذّاتية للّغة العربية ونقصد هنا الاشتقاق والمجاز، وبدرجة أقل الإحياء والتُراث.

أ- الاشتقاق: لعلّ من أبرز خصائص اللّغة العربيّة أنّها لغة اشتقاقيّة بامتياز؛ لذلك آثرنا أن يكون موضوع الاشتقاق هو الموضوع الأبرز كون الاشتقاق هو "أقوى قواعد التّوليد إنتاجية في اللّغة العربية مثال: الإذاعة والبرقية والدّعاية والصاروخ والخبر...".

كما يُعَدُّ الاشتقاق الوسيلة الرئيسية لوضع المصطلحات العلمية والفنّية والتّكنولوجية في اللّغة العربية. ولا شكَّ أنّ الإحصاء والاستقراء لما وضع إلى يومنا هذا من مصطلحات عربية في جميع العلوم، ... يفيد أن هذه الوسيلة الثّرية توفّر لمعجم العربية ما يقرب من 95 في 100 من مصطلحاته، إذْ إنّ 4,5 في 100 من المصطلحات الموضوعة في العربية الحديثة هي من نصيب المعرّبات والدّخيلات والباقي 0,5 في 100 من نصيب المنحوتات.

ب- المجاز: المجاز هو ما تجاوز معناه الأصلي إلى غيره بقرينة مباشرة أو غير مباشرة تدلّ على ذلك، أو هو لفظ ينقل المتكلّم معناه الأصلي الموضوع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة.

والمجاز من أنجع الوسائل في جعل اللّغة صالحة، لقدرته الكبيرة على استيعاب العلوم الحديثة وفي دوره المتمثّل في وضع عدد من مصطلحات هذه العلوم والمخترعات الحديثة للإشارة يَعْتَبِرُ بعض المصطلحيين بأنّ "المجاز محدود من حيث إمكانية التّوسع في استخدامه، بل إنّ بعض الدّارسين اعترضوا على إتّباع المجاز في توليد المصطلح لأنّه نابع من لغة خاصة لا تحتمل المجاز، ولكونه لا يُعبِّر إلا عن مفهوم واحد في سياق استعمالي مخصوص، ولذلك فالمجاز شأن لغوي عام تختصّ به كلمات في وضعية تواصلية معيّنة". من المفيد أنْ نُشير ألى أنّ المجاز وسيلة مهمّة فب وضع المصطلح؛ حيث "يتعامل مع التّواتر فينتج النّقل، ويقترن النّقل مع اللّفظ الفنّي فيوضع المصطلح، عندئذ يكون المجاز سبيل الرّصيد الخاص المعرفي الذي هو رصيد المصطلحات العلميّة" هذه هي الكيفية التي يتمُّ من خلالها نقل المجاز إلى مصطلح علمي.

ج- النّحت: يعدّ النّحت من أبرز وسائل توليد المصطلحات التي حصل بشأنها خلاف حول مدى إمكانية الاعتماد عليه أو تركه وتفضيل وسائل أخرى تكون أكثر إثراء للعمل المصطلحي، ففي الوقت الذي يرى فيه البعض من الدّارسين أنّه وسيلة من وسائل إثراء اللّغة كونه أفاد اللّغة العربية في القديم بإضافة عدد كبير من ألفاظ اللّغة وكلماتها، ويرى فريق آخر أنّ النّحت وسيلة غير مخصّبة بالدّرجة الكافية كما أنّه "يتنافى مع الذّوق العربي، ولأن المنحوت يطمس معنى المنحوت منه".

د- التّرجمة: على الرّغم من أنّ التّرجمة وسيلة مهمّة، إذْ بها يتطوّر العلم وينمو جهازه الاصطلاحي، غير أنّ أحيانا تَنْأَى عن هذه الوظائف المخصّبة للمصطلح شأنها في ذلك شأن المصطلح العربي، وما يعرفه من أزمة مصطلحية تتّضح مظاهرها في تعدُّد المصطلحات للمفهوم الواحد بسبب تعدّد المصطلح المترجم له ولعلّ ذلك بسبب من الأسباب المغذّية لأزمة المصطلح، وكان ذلك عائقا حال دون تأسيس عمل مصطلحي عربي قادر على رسم ملامح التّطور العلمي والمعرفي.

والخلاصة في هذا الجانب أنّ التّرجمة وسيلة مهمّة من وسائل توليد المصطلح، غير أنّها لا تخلو من مزالق وإشكالات قد تكون وخيمة على الدّرس الاصطلاحي الحديث، لذلك نرى عدم الاكتفاء بهذه الوسيلة في وضع المصطلحات وتوليدها.

هـ- التراث: تُعرَّفُ آلية التُّراث أو الإحياء بأنَّها "ابتعاث اللّفظ القديم ومحاكاة معناه العلمي الموروث بمعنى علمي حديث يضاهيه". فالتُّراث هو آلية من آليات التَّوليد التي لم يتحقّق الإجماع حول درجة أهمّيتها؛ ذلك أنّ البعض قد جعلها على رأس الآليات الأخرى من حيث الأهمية، والبعض الآخر رأى ضرورة تأخيرها وتقديم آليات أخرى عليها أو تركها بشكل نهائي، أمّا عن سبب اختلاف الدّارسين حول إعمال التّراث أو إهماله فمردُّه اختلافهم في الاتجاهات الفكرية أو التّراكمات المعرفية، غير أنّ كلّ طرفٍ يحاول تقديم مبرّرات ويحاول أنْ يُضْفِي عليها طابع الموضوعية والعلمية فمحمد عابد الجابري الرّافض لهذه الآلية يقول "إنّ استعمال المصطلح التّراثي، أو إعماله للتَّعبير عن معطيات الحضارة الحديثة عمليّة محفوفة بالمخاطر إذا ما تمّت على وجه الاستعجال وتحت ضغط الظّروف، فالمصطلح التُّراثي – في هذه الحالة- المشدود إلى مرجعيّة خاصة تختلف تماما عن مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة، فقد يُفْقِدُ هذه المعطيات حداثتها ويُفْرِغُها من مضامينها الجديدة ليشدّها إلى مضامين مُغايرة تماما".

مصاعب التّوليد الاصطلاحي:

تواجه عملية التّوليد مُعِيقات كثيرة ومصاعب يمكن ذكرها في الآتي:

1- عدم الفهم الدّقيق للمفهوم الذي يرمز إليه المصطلح الأجنبي ممّا ينتج عنه اقتراح مُقَابِلات غير موفَّقة في معظم الأحيان.

2- السّرعة التي تتمُّ بها عملية التّوليد، نتيجة كثرة المنتوج المصطلحي.

3- غياب منهجية موحّدة في العالم العربي للتّعامل مع المصطلح الوافد ومقابلته بمكافئ فصيح، إضافة إلى تعدّد المرجعية اللّغوية للمصطلح.

4- كثرة المدارس وتعدّد الاتّجاهات؛ حيث تتعدّد دلالات المصطلح وتختلف باختلاف المدارس والاتّجاهات الفكرية؛ وهو ما يؤدي إلى ترجمة المصطلح الدّال على معاني متضاربة أحيانا بمصطلح عربي واحد.

5- تعدّد الجهات العربية المختصّة بالوضع المصطلحي (مجامع لغويّة وعلميّة، منظّمات، هيئات، اتّحادات علميّة ومهنية وصناعية).